

تكنولوجيا المعلومات والعلاقات الاجتماعية دراسة فى أخلاقيات العصر الإلكتروني

إعداد

د. شريف درويش اللبان

المدرس بكلية الإعلام

جامعة القاهرة

المعلومات لكل الجماعات الاجتماعية ، فعديد من أعضاء جماعات الأقليات والجماعات محدودة الدخل ليس لديهم تليفونات . وحتى فى أكثر الدول ثراءً وليبرالية ، مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، نجد أن حوالى ٩٥ ٪ من المنازل يوجد بها تليفونات ، فى حين أن هذا الرقم يصل إلى حوالى ٨٥ ٪ من المنازل الأمريكية التى يقطنها أمريكيون من أصل أفريقى African Americans^(١) .

وقبل عام ١٩٤٠ ، كانت شركات الهاتف تتجنب أحياناً المناطق الفقيرة إعتقاداً منها بأن تلك المناطق لن تحقق ربحية عالية ، واليوم .. فإن خطط المساعدة الهاتفية Telephone Assistance Plans متاحة لدعم التليفونات لمحدودى الدخل فى الولايات المتحدة . وعلى الرغم من ذلك ، فإنه لا يزال عديد من الأسر لا يستطيع أن يدفع رسوم الخدمة التليفونية المدعومة ، مما يجعل هذه الأسر معزولة عن عالم الأعمال ووكالات المساعدة الاجتماعية والأسرة والأصدقاء .

إن تكنولوجيا المعلومات تضع أمامنا خيارات عديدة ، فهذه التكنولوجيا لا تمنحنا فقط أساليب مختلفة للعمل والتفكير والترفيه ، بل إنها تقدم لنا أيضاً الخيارات الأخلاقية المختلفة ، هذه الخيارات الأخلاقية ethics ، هى التى تعكس بعض المعايير التى تساعد فى توجيه السلوك والتصرفات . ومع امتزاج أجهزة الكمبيوتر والاتصالات ، فإننا نواجه الآن بما يمكن أن يطلق عليه الأخلاقيات فى العصر الإلكتروني cyberethics ، وهى التى تقوم بتحديد الأفعال الصحيحة فى هذا العالم الرقمى Digital Universe .

فى هذه الورقة البحثية نتناول بعض هذه الأخلاقيات ، حيث نتحدث عن خمسة مجالات مهمة لهذه النوعية من الأخلاقيات .

أولاً: المساواة الاجتماعية

Social Equality

لا تتحقق المساواة فى الوصول إلى تكنولوجيا

النوايا الحسنة والمبدولة للقضاء على هذه الفجوة الكمبيوترية ، لأن هذه الجهود تعمل على أن تتكيف هذه الجماعات بدرجة أكبر ، لكي تقبل «مكانها» في ظل نظام من الاستغلال الاقتصادي .

وتستمر الفجوة الكمبيوترية بالنسبة للأقليات والنساء حتى سن النضج والدخول إلى سوق العمل ، فصناعات تكنولوجيا المعلومات ، والمهن المتضمنة فيها يسيطر عليها بدرجة كبيرة الذكور البيض . وبناء على تقرير لمؤسسة العلوم الأمريكية National Science Foundation ، ففي عقد الثمانينيات كان ٣ ٪ فقط من المتخصصين في مجال الكمبيوتر من الأمريكيين الأفارقة .

وعلى الرغم من أن سيدات مثل ليدى لافليس Lady Ada yron Lovelace تعد أول محللة نظم كمبيوتر على مستوى العالم ، وجريس هوبر Grace Happer مطورة لغة الكوبول COBOL إحدى لغات البرمجة ، وإيلين هانكوك Ellen Hancock نائب رئيس شبكة خدمات IBM ولور هارب Lore Harp مخترعة أول برنامج للمنتجات الجرافيكية Vector Graphics ، على الرغم من أن كل هؤلاء السيدات قد لعبن أدواراً بارزة في صناعة الكمبيوتر ، إلا أن السيدات لا يتم تمثيلهن التمثيل الكافي في مجالات علوم الكمبيوتر^(٣) .

وتشير «إحصاءات مكتب العمل» Bureau of Labor Statistics في الولايات المتحدة إلى أن السيدات اللاتي يعملن في مهن متعلقة بالكمبيوتر يكسبن أقل بكثير من زملائهن الذكور ، وذلك على الرغم من أن الفجوة أقل نوعاً .

وبناء على دراسة أجريت على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية على الأطفال في سن المدرسة ، وقد أجرت هذه الدراسة « خدمة الاختبارات التعليمية » Educational Testing Service ، وتبين منها أن الدارسين البيض يتمتعون بمستويات أعلى في تعلم الكمبيوتر بالمقارنة بالأمريكيين الأفارقة أو الدارسين من أصل إسباني ، أو الذين ينتمون أساساً لجذور لاتينية . وقد تبين أيضاً أن هذه الفجوة تظل موجودة بين الجماعات في السنوات الأعلى من التعليم^(٢) .

ولعل ما يفسر هذه الفجوة هو التعرض المتباين لأجهزة الكمبيوتر في المنازل . فلا يزال الدارسون البيض الأوفر حظاً ، إلى حد بعيد ، في تملك أجهزة كمبيوتر منزلية . وقد أوصت الدراسة السابقة ذاتها أنه في حين أن الكفاءة في مجال الكمبيوتر تبدو متساوية تقريباً بالنسبة للذكور والإناث في السنوات الأدنى من التعليم ، إلا أنه بحلول الصف السابع يتقدم الذكور على الإناث بشكل كبير . ومرة أخرى ، فإن مدى إتاحة أجهزة الكمبيوتر المنزلية تعد عاملاً أساسياً في هذه السبيل .

ويعتقد البعض أن تعليم الكمبيوتر Computer Education يتضمن ، في حد ذاته ، منهجاً دراسياً خفياً Hidden Curriculum يفرض قيم الثقافة السائدة من خلال تعليم السيدات والأقليات إطاعة الأوامر ، والعمل على أقلمة هذه الجماعات على تنفيذ المهام المتكررة ، وبعبارة أخرى فإن تعليم الكمبيوتر يهدف أن يتعلم الدارسون أيضاً قبول السلطة .

وبناء على هذا الجدل ، فإن الجهود ذات

كما أن السيدات يتحملن أيضاً وطأة فقدان وظائفهن من جراء الاتجاه إلى أتمتة المكاتب Office Automation ، في حين أن الأقلية من العمال الذكور ذوى الياقات الزرقاء يشغلون الوظائف التى تبقى من أجهزة الروبوت ، التى تقوم بمعظم الأعمال فى مجال التصنيع . وحتى المهنة الوحيدة المتعلقة بالكمبيوتر ، والتى تضم نسبة كبيرة نسبياً من الإناث ، وهى «مبرمج كمبيوتر» Computer Programmer ، هى أيضاً فى طريقها إلى الأتمتة ، وذلك بفضل ظهور «نظم هندسة البرامج بمساعدة الكمبيوتر» Computer-aided Software Engineering Systems (CASE) هكذا ، فإن الوظائف ذات الدخل المرتفع ، والتى وفرتها تكنولوجيا المعلومات ، عادة ما تكون فى مجالات تقنية ، وسيطر عليها الذكور البيض^(٤) .

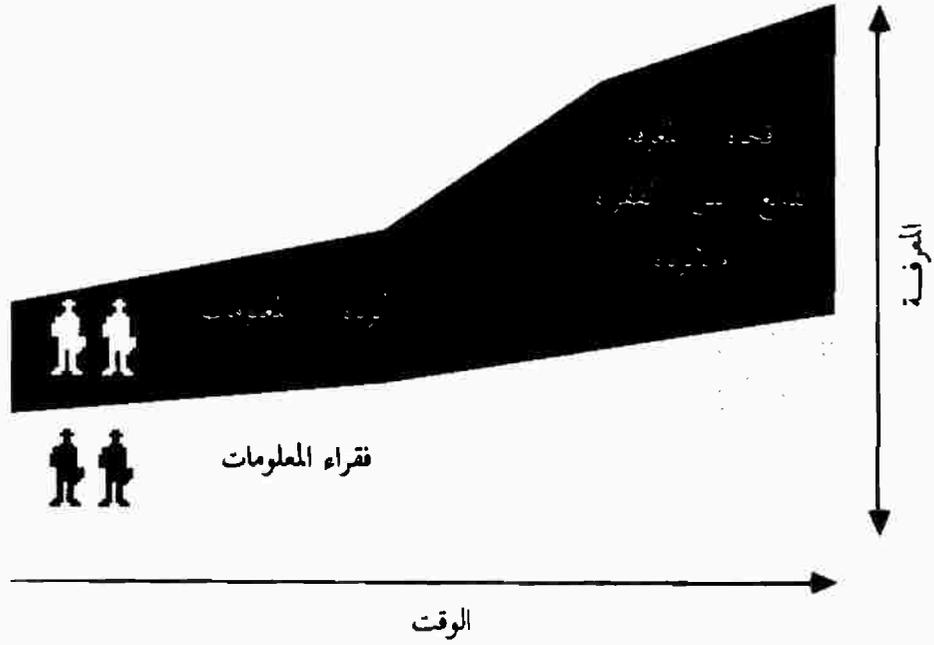
وفى الولايات المتحدة ، فإن السيدات ، ومعظمهن من المهاجرات الجدد من دول أمريكا اللاتينية ، يعملن فى «حجرات نظيفة» فى المصانع التى يعهد إليها بتجميع أجزاء الكمبيوتر ، فى حين أن أخريات يعملن بالقطعة ، حيث يقمن بتجميع أجزاء الكمبيوتر فى مطابخهن الخاصة . ويقول أصحاب المصانع والمستخدمون فى «وادي السيليكون» Silicon Valley إنهم يقدرون غرائز الأمومة وأخلاقيات العمل بالنسبة للسيدات العاملات وخفة حركتهن وذكاتهن ، إلا أنه يفرض عليهن قبول أقل^(٥) .

وتصل العواقب أحياناً إلى ما هو أبعد من الاستغلال المادى أو الاقتصادى ، فالغرف المصممة

للحفاظ على أجزاء الكمبيوتر نظيفة داخل مصانع تجميع أجزاء الكمبيوتر ، لا تحافظ بالدرجة نفسها على رثات الموظفين نظيفة . فمن المعروف أن المذيبيات المستخدمة مع رقائق الكمبيوتر تمد سامة بدرجة كبيرة عند استنشاقها ، مما يؤدى إلى الخلل فى جهاز المناعة Immune System Disorders ، وتشوهات الجنين Birth Defects ، وحالات الإجهاض المتكررة للعمليات فى «الحجرات النظيفة»^(٦) .

كما أن الفرضية الخاصة بفجوة المعرفة Information gap Hypothesis تشير قلقاً مشابهاً ومساوياً فيما يتعلق بتأثيرات تكنولوجيا المعلومات ، حيث إن هذا المدخل يميز بين «الأثرياء بالمعلومات» Information Rich و «الفقراء فى المعلومات» Information Poor . وبالطبع فإن المجتمعات التى تتسم بالثراء المعلوماتى هى التى تتمتع بمستويات عالية ومتميزة من التعليم ، وتستطيع الوصول إلى مصادر المعلومات مثل المكتبات وأجهزة الكمبيوتر المنزلية المتصلة بشبكات المعلومات ، فى حين أن المجتمعات التى تعاني الفقر المعلوماتى تحصل على مستويات متدنية من التعليم والوصول إلى مصادر المعلومات ، وتميل إلى أن تكون فقيرة أيضاً من الناحية الاقتصادية^(٧) ، انظر شكل ١ .

وتقول الفرضية إن تقديم تكنولوجيا جديدة فى مجال المعلومات سوف يفيد كلا النوعين من المجتمعات ، إلا أنه سوف تفيد «أثرياء المعلومات» بدرجة أكبر . ولعل السبب فى ذلك أن «أثرياء المعلومات» يتمتعون بالمزايا ، التى تساعدهم على أن يتسيدوا التكنولوجيات الجديدة ، ويتفوقوا فى استخدامها بشكل أسرع .



شكل (١) : وفقاً لفرضية فجوة المعرفة ، فإن تقديم تكنولوجيات جديدة سوف يساعد أثرياء المعلومات لكي يصبحوا أكثر ثراءً ، وفقراء المعلومات ليصبحوا أكثر ثراءً ، ولكن الأثرياء يصبحون أكثر ثراءً بدرجة أسرع ، مما يتسبب في اتساع فجوة المعرفة .

ثانياً: حرية التعبير والرقابة

Free Speech and Censorship

في صباح أحد الأيام ، قام جون سيبروك John Seabrook الكاتب الصحفي بمجلة «نيويورك» New Yorker ، بتفحص البريد الإلكتروني على جهاز الكمبيوتر الخاص به ، ليجد رد الفعل التالي على قصته الإخبارية التي نشرها عن «بيل جيتس» Bill Gates ، رئيس شركة «ميكروسوفت»^(٨) :

وهذا يعني ، في النهاية أن الفجوة بين الأغنياء والفقراء سوف تتسع بشكل ملحوظ بمرور الوقت ، بما قد يؤدي إلى خلق مجتمع مكون من طبقتين Two - layered Society ، دون وجود طبقة وسطى ، ويرى الديموجرافيون والاقتصاديون أنه توجد زيادة طفيفة في هذا الاتجاه . وعلى أية حال ، فإن ثمة عوامل أخرى ، بالإضافة لتكنولوجيا المعلومات ، مثل حالة الكساد الطويلة وانخفاض معدلات التعليم المجاني والضرائب المتزايدة ، قد تكون مسؤولة عن ترسيخ هذا الاتجاه .

واسمع ، أنت اليوم (كلمة محذوفة) سلة نفايات ... انزع رأسك (ثلاث كلمات محذوفة) الطويلة لتنظر حولك وتلاحظ أن المهبرين الصحفيين الحقيقيين لا يتزلفون من خلال موضوعاتهم ، ويتظاهرون بأن موضوعاتهم تصنع نوعاً من الاتصال الخاص بهم ، أو تحمل نكهة البهارات من خلال ما أعظم ما تقدمه موضوعاتهم من (كلمة محذوفة) بروفييل سيقوم بتغيير الواقع ، ليفاخروا بأنهم قد نشروا ذلك ... « عقب انتهاء سيروك من قراءة الرسالة ، استشاط غضباً من محتواها .

إن أحد أشكال التعبير التي يتفرد بها الاتصال المباشر عبر أجهزة الكمبيوتر Onlin Communication ، هي أن يعبر الإنسان عن غيظه بأن يقوم بكتابة رسالة مباشرة عبر جهاز الكمبيوتر . وتحتوى هذه الرسالة ازدياءً وأقوالاً فاحشة أو لغة غير مناسبة ، وللأسف ، فإن القوانين التي تحمى الفرد عندما يتحدث فى التليفون أو يستمع إلى الراديو أو يشاهد التلفزيون لا تستطيع أن تحميه من البذاءات التي قد يحملها البريد الإلكتروني إلى عقر داره .

إن البذاءات التي ترد عبر البريد الإلكتروني لا يمكن أن تقال فى التليفون ، ولا يمكن أن يتفوه بها شخص فى وجه شخص آخر . قد تأتى هذه الألفاظ المشينة فى خطاب ، ولكن بعض الأشخاص سوف يفكرون مرتين قبل إرسال مثل هذا الخطاب ، ولكن البريد الإلكتروني يفتح الباب واسعاً لأن يرسلوا أية رسائل طالما لا يوجد دليل لإدانة ما قد تحمله هذه الرسائل من أشياء يعاقب عليها القانون .

إن طبيعة البريد الإلكتروني تتمثل فى أن الفرد

لا يفكر مرتين قبل أن يكتب رسالته ، فهو يكتب ويرسل ما يكتبه على الفور . كما أنه فى البريد الإلكتروني لا تتضح الصفات الحاسمة لشخصية الفرد، والتي يمكن أن تتضح فى الحال فى الاتصال المواجهى face to face communication ، وهو ما لا يمكن إفساؤه فى الاتصالات المباشرة عبر الكمبيوتر . وعلاوة على ذلك ، فإن عديداً من الأفراد يستخدمون ألقاباً بدلاً من استخدام أسمائهم الحقيقية عند اللجوء إلى البريد الإلكتروني .

وللأسف ، فإن الخدمات المباشرة Online services لا تتدخل غالباً فى الرسائل التي يتم نقلها عن طريقها عبر البريد الإلكتروني ، والسبب فى ذلك أن رسائل البريد الإلكتروني تعد اتصالات تتمتع بالخصوصية ، ولذلك فإن هذه الخدمات غير قادرة على تنظيم ما تحمله هذه الرسائل من محتوى. وفى الحقيقة ، تحاول بعض الخدمات المباشرة فى الوقت الحالى أن تقوم بترتيب هذه الاتصالات وتنظيمها ، حيث تقوم إحدى هذه الخدمات باستخدام برنامج لتصيد استخدام اللغة المتدنية والكلمات الهجومية الأخرى . ويقوم البرنامج بتحذير المستخدمين بضرورة محو هذه الكلمات وألا تخضع رسائلهم للرقابة^(٩) .

إن هذه المشكلات التي تحوط البريد الإلكتروني تثير عديداً من التساؤلات المعقدة حول السلوك المناسب الذى يجب الالتزام به عبر الخدمات المباشرة Online Behavior ، وحرية التعبير ، والمواد الإباحية والرقابة ، وهو ما سوف نتناوله تفصيلاً على النحو التالى^(١٠) :

السلوكيات الجديدة New Manners

إن البعض يعتقد أنهم لا يجب أن يلتزموا بقواعد السلوك لمجرد أنهم يمتلكون تكنولوجيا جديدة ، ولكن آداب السلوك أو «الإتيكيت» يجب أن تلحق بالتكنولوجيا . لقد شعر مستخدمو التليفون المحمول بامتهان الناس لهم لأنهم أرغموهم على الاستماع إليهم وهم يتحدثون في تلك الأجهزة المحمولة في المطاعم والحفلات الغنائية والموسيقية ، وحتى في المحافل الأكاديمية كالمؤتمرات العلمية ومناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه ...! كما أحس أولئك الذين يستخدمون التكنولوجيا الجديدة بنظرات الناس التي تتوجه صوبهم من جراء انطلاق جرس التليفون المحمول أو جرس جهاز التتبع Pager .

وعلى أية حال ، ففي مثل هذه الحالات ، يمكن أن تستخدم التكنولوجيا أيضاً لحل المشكلات التي تخلقها ، فعدد من الأفراد يحملون أجهزة تليفونية وأجهزة تتبع تصدر اهتزازات Vibrations ، بدلا من تلك الأجهزة التي تطلق أجراساً ، كما أن البعض يتلقى المكالمات الواردة مباشرة على خدمة للبريد الصوتي Voice - mail Service ، أو أى رقم آخر .

كما أن عدداً من المتعاملين حديثاً مع أجهزة الكمبيوتر والاتصالات ، تكون لديهم في العادة مجموعة من الأسئلة التي غالباً ما تطرأ على أذهانهم Frequently asked questions (FAQ'S) ، ومن المتوقع أن يطرح القادمون الجدد هذه الأسئلة قبل الانضمام لأية ندوة من ندوات الدردشة Chat Forums عبر الإنترنت ، ولاشك أن قراءة الإجابة

عن هذه الأسئلة سلفاً تمنع القادمين الجدد من تضييع وقت المجموعة باستعراض جهلهم .

وتتضمن بعض هذه التصرفات التي تثير المضايقات ، الاستخدام غير الصحيح لبرنامج الكمبيوتر الذي يدير الدردشة Chat Program ، أخطاء الهجاء ، تكرار النقاط التي طُرحت سلفاً ، أو مناقشة موضوعات لا تناسب مع موضوع الندوة .

ويجد ثمة شيء يساعد في ثقافة الاتصال المباشر Online Culture ، وهو استخدام الأيقونات Icons ، وهي رموز تدل على ما خلفها من مضمون ، مما خلق ثقافة من الرموز المتعارف على معانيها ، والتي يسهل تمييزها بعضها عن بعض ، لذا يجب الحرص على أن يكون هذه الأيقونات مفهومة بمختلف اللغات .

وفي هذه السبيل ، توجد مجموعة من الأيقونات يطلق عليها «أيقونات العواطف» Emoticons ، وهي تمثل تعبيرات مصورة للوجه ، وتعمل هذه الأيقونات على تمكين مستخدمي الاتصال المباشر من الحصول على تعبيرات الوجه Facial Expressions ، والتي يحاول الفرد نقلها للآخرين في المحادثة العادية . وهكذا ، فإن هذه الأيقونات يمكن أن تعبر عن وجهة نظر معينة تعبر عن السعادة أو الأسف أو الصدمة ... الخ .

ولأن جماعات النقاش تعد من الأمور الجاذبة للأفراد ذوى الاهتمامات المتشابهة ، فإنه غالباً ما يكون لديها نمطها الخاص من آداب السلوك أو المراقبة الذاتية للسلوك . فبعد فترة قصيرة من الممارسة ، يستطيع الفرد أن يعرف أن كتابة العبارة كلها بحروف كبيرة CAPITAL LETTERS

يعنى الصراخ أو الشكوى والضجر ، كما أن طي الشاشة من خلال مسح الجزئين الأمامي والخلفي لمستند ما يشبه إنهاء المحادثة ، لأن هذا الإجراء يملأ الشاشة بخطوط من الحروف أو المسافات البيضاء ، حتى لا يستطيع الآخرون التحدث أو المناقشة ، وإذا كان تعليقك يلقي اعتراضاً أو طويلاً للغاية ، فإن الآخرين سوف يجعلونك تعلم ذلك .

حرية التعبير Free Speech

إن السنوات العشر الماضية تشير إلى أن حرية التعبير ، كنتاج نهائي لسقوط الحواجز أمام تدفق المعلومات ، تتعرض لتآكل ملحوظ على الصعيد العالمي . فليس هناك ضمان بأن تكنولوجيا الاتصال الجديدة سوف تؤدي إلى عصر جديد مختلف ينظوي على المزيد من حرية التعبير ، فهناك عديد من المؤشرات تشير إلى طريق عكسي . ففي أول اختبار للنظام العالمي الجديد في الخليج العربي تعرضت وسائل الإعلام الأمريكية ذاتها عديد من القيود ، التي اعترضت تقديم تغطية موضوعية وزيهة لأحداث حرب الخليج الثانية .

وهكذا ، فقد بدت حرب الخليج الثانية ، من خلال التغطية المشوهة ، غير حقيقية لبضع مئات من ملايين المشاهدين حول العالم ، الذين شاهدوا الجسور والمباني وهي تنهار . لقد صاحب حرب الخليج إحساساً بأن الحرب ما هي إلا خيال علمي غير حقيقي . لقد كانت هذه الحرب تبدو كأنها حرب نظيفة ، رغم أنها كانت مثل كل الحروب حرباً قذرة حافلة بالبؤس والألم والموت . ورغم أننا سمعنا وعلمنا بالبؤس والألم والموت ، إلا أن معظمنا لم يره أو يسمعه ، ولذلك فإننا لم نشعر به كما

ينبغي ، ولعل هذا من مساوئ التغطية التي تم تقديمها للحرب .

وعلى العكس من تقييد حرية التعبير في بعض مناطق العالم ، نجد أن حرية التعبير مصانة تتمتع بالحماية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك من خلال التعديل الأول الذي أدخل على الدستور الأمريكي First Amendment . فقد تقرر المحكمة، بعد أن تكون قد تكلمت أنك قمت بالتشهير أو إلحاق الأذى بشخص ما ، وحينئذ تتم مقاضاتك بتهمة السب Slander (الكلام المنطوق Spoken speech) ، أو القذف libel (الكلام المكتوب Written speech) ، أو بتهمة الإزعاج والمضايقة المستمرة أو ما يُطلقون عليها «التحرش» Harassment .

ولكن مستخدم الكمبيوتر يمكن ألا يمثل أمام المحكمة مداناً بإحدى هذه الاتهامات ، فقد حكمت المحكمة الفيدرالية بأن خدمة الكمبيوتر لا يمكن أن تتم مقاضاتها بسبب رسالة تم بثها أو نقلها عن طريقها . وعلى أية حال .. فإن الأفراد الذين يستخدمون شبكة كمبيوتر لا يتمتعون بالحماية نفسها ، من حيث مقاضاتهم للآخرين بتهمة القذف .

وعلى الرغم من ذلك : فقد قضت المحكمة الأسترالية العليا Australian Supreme Court بأن قيام أسترالي بقذف مواطنه في رسالة عبر الكمبيوتر يعد أمراً موجباً لإقامة دعوى قضائية لذلك ، فإنه من الحكمة والحصافة وحسن تدبير الأمور ، ألا تقول أي شيء عبر البريد الإلكتروني لا نستطيع أن نقوله علانية .

وعلى مستوى العالم العربي ، فإن العقد الماضى الذى شهد تدفقاً أفضل للمعلومات ، لم يشهد تغيراً فى أوضاع حرية التعبير التى تعرضت لانتكاسة فى ظل تنامى القومى المحافظة التى تترىص بحرية التعبير ثقافياً واجتماعياً ، وهى مساحة من الحرية كانت بعض الأنظمة السياسية فى العالم العربى قد تسامحت فيها إلى حد ما . ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أنه فى بعض الأحيان ، كان الصمت الرسمى وسيلة لدعم موقف القوى المحافظة من حرية التعبير فى إطار التوازنات السياسية .

ومع هذه الصورة التى قد تبدو محبطة إلى حد ما ، فإن هناك بعض الإيجابيات الناتجة عن التدفق الحر للمعلومات فى العالم العربى ، وهى وإن كانت بطيئة الخطى ، إلا أنها قائمة :

أولاً : إن حرية التلقى والانتقاء بين وسائل الإعلام والمعلومات أصبحت حقيقة واقعة فى العالم العربى . ولن تنجح أية جهود فى الحد من تعرض الجمهور العربى لهذه الوسائل ، إلا من خلال بديل يصمد أمام المقارنات اليومية التى يعقدها الجمهور بين القنوات العربية والأجنبية . ولعل أحد الشروط الضرورية لهذا البديل هو إتاحة المزيد من حرية المعالجة مع التوسع فى القضايا التى تتناولها المعالجات الإعلامية . وإذا كانت حرية التلقى اليوم قائمة بشكل جماهيرى فى المحتوى الترفيهى ، فإن مستوى وجودها فى المجالات الأخرى سوف يرتفع . وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى يقود فيها الجمهور العربى خطى تطوير وسائل الإعلام .

ثانياً : إن فترة التسعينيات من القرن العشرين ، بما وفرته من قنوات بديلة للمعلومات كانت إيداناً ببدء نهاية عصر الاحتكار الحكومى لتدفق المعلومات فى المجتمع العربى . وإذا أضفنا إلى ذلك تقلص الدور الاقتصادى للحكومات فى معظم البلدان العربية فى ظل اتجاهات اقتصاد السوق فى المستقبل ، فإنه من المحتمل على المدى البعيد أن يتقلص دور الدولة فى توجيه النشاط العام فى المجتمع العربى . فالنمو القائم فى القوى الاجتماعية والاقتصادية فى العالم العربى سوف تكون له انعكاساته الملحوظة فى كسر احتكار الدولة لتدفق المعلومات داخل الدولة وسيطرتها على صناعة الإعلام ، وتوجد نمة إرهابات لذلك فى عدد من الدولة العربية .

ثالثاً : كان لتدفق المعلومات عبر الحدود العربية تأثير ملحوظ فى تنامى قوة الرأى العام العربى ، وقد أشار الرئيس مبارك إلى ذلك فى أحد أحاديثه لشبكة CNN بقوله : «ليس هناك حاكم عربى الآن يستطيع تأييد خطط الولايات المتحدة لضرب العراق ، لأن الناس أصبحت على علم تام بما يحدث للشعب العراقى من خلال القنوات الفضائية» .

رابعاً : إن هناك عديداً من المؤشرات على تغير ملحوظ فى مستوى الأداء المهنى لوسائل الإعلام العربية المطبوعة والمرئية على السواء بسبب المنافسات الإعلامية القائمة محلياً وإقليمياً وعالمياً ، ومن الطبيعى أن يتطلب الأداء المهنى تغييراً فى كمية المعلومات التى تتدفق عبر وسائل الإعلام العربية ونوعيتها ،

باعتبار أن ذلك هو ركيزة التطوير الأساسية في الأداء الإعلامي .

هذا ، وينطوي التدفق الحر للمعلومات على عديد من القصور أمام الإعلام العربي :

١ - إن توافر المعلومات للجمهور من مصادر متعددة يضع الإعلام العربي في موقف المعجز إن لم يتمكن من الاستجابة لهذه الظاهرة بزيادة المعلومات بالتنوع المطلوبة في ظل المنافسة ، فحينما يتزامن وصول المعلومات إلى الجمهور وصناع القرار ، فإن استجابة صناع القرار لهذه المعلومات سوف تتأثر بوجود المعلومات لدى الجمهور . ومن ثم ، فإن فرصاً فريدة متاحة الآن أمام الإعلام العربي لتوسيع هامش الحرية ، خاصة وأن الواقع الإعلامي العالمي يدعم هذا الاتجاه .

٢ - إن تدفق المعلومات يوفر للإعلام العربي ذاته موارد إعلامية لم تكن متاحة له من قبل . وهذه الموارد المعلوماتية يمكن أن تدعم تطوير الأداء الإعلامي العربي ، والتخلي عن ظاهرة نقص المعلومة في الخطاب الإعلامي العربي ، حيث ظلت البلاغة اللغوية بديلاً تقليدياً عن نقص المعلومة فترات طويلة ، ولن يتمكن الإعلام العربي من الاستفادة من موارد المعلومات ، دون إعادة تأهيل الإعلاميين العرب للتعامل مع هذه الظاهرة الجديدة .

الموارد الإباحية Explicit Material

إن أجهزة الكمبيوتر تعد بالطبع مجرد وسيلة من وسائل الاتصال ، ولذلك فيجب ألا نندعش إذا ما استخدمها الناس للحديث عن الجنس . وقد

كفل التعديلات الأولى والرابع من الدستور الأمريكي الحماية للمراهقين .

ومن هنا ، توجد أقسام للندردشة chat sections وتبادل الأخبار عبر شبكات المعلومات عن الجنس بحرية كاملة بين المراهقين . ولكن أحياناً ما يتم بث صور عارية للأطفال child pornography ، ورغم أن هذا العمل لا يتمتع بأية حماية ، إلا أنه يصعب تتبع مصدره في الوقت نفسه .

وتوجد ثمة مشكلة تتعلق بالأطفال الذين يستطيعون الوصول إلى المحادثات الجنسية Sexual conversations ، ويتبادلون صور المعاشرة الجنسية Hardcore pictures ، أو يصادفون مراهقين يغرونهم على مقابلتهم . ولذلك ، يُنصح الآباء بالألا يستخدموا خدمة مباشرة Online Service كجلیسة أطفال إلكترونية Electronic baby sitter ، فالناس في الخدمة المباشرة قد لا يبدو مثلما يظهرون في الحياة العامة .

فأحياناً ، قد تبدو الرسالة وكأنها مرسله من فتاة تبلغ اثنتي عشر عاماً ، في حين أنها قد تكون مرسله في الحقيقة من رجل في الثلاثين من عمره . وهكذا ، يجب أن يتم تحذير الأطفال بالألا يقوموا مطلقاً بإفشاء معلومات شخصية ، وأن يخبروا آباءهم إذا ما تلقوا بريداً إلكترونياً أو رسائل تجعلهم يشعرون بعدم الراحة .

الرقابة Censorship

إن حرية التعبير ليست دوماً نتيجة منطقية للتدفق الحر للمعلومات في غيبة التنمية والبناء

السياسى والتنظيم الاقتصادى والوعى السياسى القائم. فالتدفق الحر للمعلومات فى عصر العولمة لن ينهى عصر الرقابة على المعلومات ، فلكل عصر أدواته فى الرقابة . ففى عصر التدفق الالكترونى للمعلومات يظهر مفهوم جديد للرقابة ، حيث يمكن باستخدام تكنولوجيا متطورة تعديل مسار المعلومات أو حجبتها أو التلاعب بها دون تعرف مصادر هذه العمليات .

إن الرقباء لن يرحلوا ، ففى عالم الإنترنت الذى سقطت فيه الحدود بين الدول ، تمارس لعبة القَط والفَأر بين الحكومات الآسيوية والمواطنين الذين يخاطرون بالقبض عليهم من أجل حرية الوصول إلى الشبكة العالمية . وتحاول دولتا الصين وسنغافورة إعاقه وصول مواقع معينة على الشبكة ، هى المواقع التى تحوى مضموناً سياسياً أو جنسياً لاترغبه الدولتان . كما تقوم هاتان الدولتان بالحد من عدد الشركات العاملة فى مجال توزيع خدمة الإنترنت على المواطنين ، وتفرضان عليها استخدام مرشحات إلكترونية Electronic filters لإعاقه المواقع غير المرغوب فيها .

وقد يتحايل بعض المنشقين على قرار إعاقه بعض المواقع من خلال إنشاء مواقع شخصية Home pages عبر العالم ، لكى تصبح وسيلة شحن للبريد . كما أن عناوين المواقع يمكن تغييرها لتحديد قرار الإعاقه . ويمكن القول إنه ليس من السهل إعاقه الإنترنت ، إذا كان الشخص عاقد العزم على أن يدخل إلى الشبكة ، كما أن الوصول إلى الشبكة يتنامى بشدة عبر العالم كل عام .

وعلى مستوى الإعلام المرئى ، نجد أن التلفزيون الروسى بث الفضائى التى جرت فى

الشيشان Chechnya ، ومشاهد للكلاب الجائعة وهى تحوم حول الجثث فى جروزنى Grozny عاصمة الشيشان . ولعدة عقود ، فإن مثل هذه المناظر ، التى لم يكن مسموحاً بتصويرها فوتوغرافياً أو بثها تليفزيونياً ، لم تكن لتقضى مضجع السيطرة الصارمة للكومين ، ولكن الأمور لم تعد كذلك ، فروسياً وسائر دول العالم نراها الآن كاميرات التلفزيون ، وتسجل أحداثها على شرائط الفيديو ، وتنقل وقائعها عبر الأقمار الصناعية ، وتُعرف هذه الوقائع على شاشات التلفزيون عبر العالم .

ومن الأمور المتعارف عليها أن التشويش على إشارة تليفزيونية منقولة عبر القمر الصناعى أصعب كثيراً من التشويش على إشارة الراديو. وهكذا ، فإن قوة أدوات الانصال الجماهيرى قامت لأول مرة فى تاريخها بتقويض السياسة الوطنية وإعادة تشكيلها ، وهو ما بدا واضحاً عبر شوارع المدن الأمريكية فى أثناء حرب فيتنام ، وهو ما صار أكثر وضوحاً فى الاتحاد السوفيتى السابق منذ سنوات قليلة مضت .

وبينما بدا أن وسائل الإعلام الجديدة سوف تؤدى إلى تدعيم قوة الحكومات (كما ناقش ذلك جورج أورويل George Orwell ، على سبيل المثال ، فى كتابه الشهير 1984) ، فإن تأثير هذه الوسائل يسير على النقيض من ذلك تماماً ، من حيث كسر احتكار الدولة للمعلومات ، اختراق الحدود الوطنية ، السماح للشعوب بأن ترى وتسمع كيف يؤدى الآخرون الأشياء بشكل مختلف . كما أن هذه الوسائل قد جعلت الدول الفقيرة والغنية واعية بالفجوة بينها ، بالمقارنة بما كان متاحاً منذ نصف قرن مضى ، مما أدى إلى التحفيز على الهجرة الشرعية وغير الشرعية .

ثالثاً: الخصوصية Privacy

إن الخصوصية هي حق الأفراد في عدم إفشاء أو نشر معلومات عن أنفسهم ، فثمة أمور تدخل في عداد الأمور الخاصة مثل الإدلاء بصوتك في الانتخابات ، وماذا تقول في خطاب مرسل من خلال البريد . وعلى أية حال ، فإن السهولة التي قد تتوحد بها قواعد البيانات وخطوط الاتصالات قد وضع الخصوصية تحت ضغوط هائلة وصعبة .

والآن ، من السهل أن تُكتشف عنك أو عن أى شخص آخر أشياء معينة ، فباستخدام جهاز الكمبيوتر المنزلى الخاص به ، حصل أحد الصحفيين الأمريكيين على معلومات عن التقرير الائتماني الخاص بدان كويل Dan Quayle نائب الرئيس الأمريكى السابق ، وهذا التقرير يفشى كل تعاملات كويل المالية ، بما فى ذلك اسم المحل الذى يتتبع منه ملابسه بصفة أساسية ، وكل ما كان على ذلك الصحفى أن يفعله هو أن يدفع خمسين دولاراً لبائع معلومات Information Seller ، ويكتب اسم «دان كويل» على الكمبيوتر ليحصل على بغيته من المعلومات^(١١) .

وفى فترة السبعينيات ، طورت الإدارة الأمريكية للصحة والتعليم والرفاهية مجموعة من خمس ممارسات عادلة فيما يتعلق بالمعلومات ، وقد تم تبنى هذه القواعد من خلال عدد من المنظمات العامة والخاصة . وقد أدت هذه الممارسات أيضاً إلى سن عدد من القوانين لحماية الأفراد من اقتحام الخصوصية Invasion of privacy ، ولعل أهم هذه القوانين قانون الخصوصية الفيدرالى Federal Privacy Act ، أو قانون الخصوصية الصادر عام ١٩٧٤ .

ويمنح قانون الخصوصية الصادر عام ١٩٧٤ الاحتفاظ بملفات سرية للأشخاص من خلال الوكالات الحكومية أو غيرها . ويمنح القانون الأفراد حق رؤية سجلاتهم ، ومعرفة كيفية استخدام المعلومات ، وتصحيح الأخطاء التي قد يجدونها فى تلك السجلات .

وثمة تشريع آخر له دلالة خاصة ، وهو قانون حرية المعلومات Freedom of Information Act ، والذي تم إقراره عام ١٩٧٠ ، ويسمح هذا القانون للمواطنين الأمريكيين العاديين بالوصول إلى البيانات المجموعة عنهم من خلال الوكالات الحكومية الفيدرالية^(١٢) .

وتقوم معظم قوانين الخصوصية بمراقبة سلوك الوكالات الحكومية فقط . وعلى سبيل المثال ، فإن قانون مضاهاة الكمبيوتر وحماية الخصوصية Computer Matching and Privacy Protection Act الصادر عام ١٩٨٨ يمنع الحكومة من مقارنة سجلات معينة ؛ للتأكد من مضاهاة المعلومات الواردة بها^(١٣) .

ومن الأمور المثيرة للقلق ، بصفة خاصة ، فيما يتعلق بالخصوصية ، الأمور المرتبطة بالمعاملات المالية ، والسجلات الإجرامية ، والصحة ، والتوظيف ، والتجارة ، والاتصالات ، وهو ما سنتعرض له بشئ من التفصيل^(١٤) :

المعاملات المالية Finances

إن مجالى البنوك والائتمان يعدان صناعتين تتميزان بالخصوصية ، وذلك لوجود قوانين الخصوصية الفيدرالية الأمريكية التي تقر ذلك

ملف آخر ، وقد يعود الخطأ نفسه إلى مصدره الأصلي بعد تصحيحه بسنوات . ولا غرو أن عديداً من المواطنين الأبرياء قد يتم إيداعهم السجن بسبب معلومات خاطئة تم استقاؤها من قاعدة بيانات .

ولا شك أن حفظ السجلات الإجرامية على أجهزة الكمبيوتر يعد مصدراً مهماً للقلق ، حيث أن عديداً من أصحاب الأعمال يتحفظون على الاستعانة بأى شخص له تاريخ إجرامى . فعلى الرغم من أن الأفراد قد سدّدوا ديونهم للمجتمع بقضاء فترة العقوبة ، إلا أن جرائمهم تعيش وتستمر فى قواعد البيانات . وبناء على استطلاع أجرته مؤسسة «هاريس» فإن حوالى خمس المراهقين فى الولايات المتحدة يعتقدون أنهم كانوا ضحية لاقتحام الخصوصية عن طريق الكمبيوتر .

الصحة Health

لا توجد ثمة قوانين فيدرالية فى الولايات المتحدة الأمريكية تحمى السجلات الصحية ، باستثناء تلك القوانين المتعلقة بتلقى العلاج من الإدمان والإسراف فى المشروبات الكحولية ، والعناية ضد الأمراض العقلية ، أو السجلات التى توجد تحت كفالة الحكومة الفيدرالية .

وبالطبع ، تستطيع شركات التأمين أن تلقى نظرة على بيانات الفرد الصحية ، ولكن يستطيع الآخرون أن يفعلوا الشيء نفسه . فعند محاولة الزوجة الحصول على الطلاق ، أو رفع دعوى ضد صاحب عمل قام بفصل أحد العاملين لديه فصلاً لا يقوم على أساس وواضح ، قد يقوم المحامى بتقديم مذكرة للاطلاع على السجلات الطبية للفرد على أمل استخدام مشكلة إدمان الكحوليات ، أو ما شابه ذلك

صراحة ، فقانون Fair Credit Reporting Act الصادر عام ١٩٧٠ يسمح للفرد بالوصول إلى سجلاته الائتمانية ، ويعطيه الحق فى الاعتراض على هذه السجلات ، وإذا أنكر ائتمانياً ، فإن هذا الوصول للسجلات والاطلاع عليها يجب أن يُمنح له دون أية رسوم . كما أن قانون الحق فى خصوصية المعاملات المالية Right to Financial Privacy Act الصادر عام ١٩٧٨ يضع قيوداً على الوكالات الفيدرالية التى ترغب فى البحث فى سجلات العميل لدى البنوك .

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن قواعد البيانات الائتمانية للمستهلك Consumer Databases تضم ملفات متعمقة عن التاريخ الائتماني لكل فرد تقريباً . ويمكن الوصول إلى هذه الملفات من خلال أى فرد يدفع رسم الاشتراك . ومن هنا ، يمكن الحصول على التفاصيل الكاملة لكل شيك قمت بتوقيعه ، وكل الديون المتراكمة عليك ، وذلك من خلال استخدام الكود الصحيح للوصول إلى قاعدة البيانات .

السجلات الإجرامية Criminal Records

يضم مركز معلومات الجريمة الأمريكى National Crime Information Center مئات الملايين من الملفات للأمريكيين الذين خرقوا القانون حتى ولو لأسباب بسيطة أو طفيفة . وقد يكون كم كبير من المعلومات غير صحيح ، وقد يكون قديماً ، أو قد يكون لشخص لآخر بالاسم أو العنوان نفسه . وحتى إذا تم اكتشاف ذلك ، فإن الأخطاء يمكن أن تستمر وتتصاعد لسنوات ، فالخطأ الذى يتم تصحيحه فى ملف ما قد يظل دون تصحيح فى

تحديد المواقع عبر العالم global positioning ، وبطاقات تحديد الهوية النشطة active badges (فالمشبك الموجود فى بطاقات تحديد الهوية يتصل بالأجهزة الحساسة التى تعمل بالأشعة تحت الحمراء لتحديد مكان العامل خلال مبنى ما) ، وبذلك فإن البطاقات النشطة تستطيع أن تخبر صاحب العمل عن مكانك بالضبط .

كما أن بعض البرامج يمكن أن تقوم بإحصاء عدد الضربات على مفاتيح لوحة الكمبيوتر ، وتقوم برامج أخرى بتتبع أرقام المبيعات حتى يمكن مراقبة الإنتاجية فى العمل . كما أن البريد الإلكتروني قد لا تتم قراءته فقط من قبل المستلم ، ولكن ربما يقوم رئيسه فى العمل بالاطلاع عليه ، إذا كانت سياسة الشركة تسمح بذلك .

التجارة Commerce

إن شركات تسويق المنتجات المختلفة قد ترغب فى تعرف المستهلك المحتمل لمنتجاتها . وعلى سبيل المثال ، فإن فيرجينيا سوليفان Virginia Sullivan ، تلك المدرسة المتقاعد ، كانت تقوم كل شهر بوزن البريد الذى تتلقاه من شركات التسويق ، والذى لا يهتما فى شئ ، وقد وجدت بعد أحد عشر شهراً أنها قد تلقت حوالى ثمان وتسعين رطلاً من ذلك البريد التافه Junk mail . وقد لاحظت سوليفان أيضاً أن شركات البريد التافه تعرف عنها تفاصيل كثيرة ، وذلك فيما يتعلق بحياتها الخاصة مثل سنها وعاداتها الشرائية ... وما شابه ذلك .

ويقول إيريك لارسون Erik Larson مؤلف كتاب «المستهلك العارى» The Naked

ضده . وطبقاً لنتائج إحدى الدراسات الأمريكية ، فإن أصحاب الأعمال عندما يكون لديهم معلومات عن الصحة الشخصية ، فإنهم غالباً ما يستخدمون هذه المعلومات فى اتخاذ القرارات المتعلقة بالعمالة .

ومن هنا ، فإن أفضل استراتيجية يمكن أن يتبعها العامل أو المستخدم هى ألا يقوم ، بشكل روتينى ، بملء الاستقصاءات المتعلقة بصحته وتاريخ بعض الأمراض التى يعانى منها . ويجب أيضاً ألا يقوم المستخدم بإخبار أى عمل يلتحق بأكثر مما يحتاجه هذا العمل لكى يعرفه عن الأمور الصحية . ومن الممكن أن يطلب المستخدم من الطبيب بأن يفشى فقط القدر الأدنى من المعلومات عن أمره الصحية . وفى النهاية ، فإن الفرد يجب أن يطلب نسخة من سجلاته الطبية ، إذا كانت لديه أية شكوك حول المعلومات الموجودة لدى طبيبه أو مستشفاه ، وذلك للاطلاع عليها وتصحيح ما قد يرد بها من أخطاء .

التوظيف Employment

إن أصحاب العمل الخاص هم أقل الفئات التى تخضع الرقابة من خلال التشريعات المتعلقة بالخصوصية فى الولايات المتحدة . فإذا تقدم فرد لوظيفة ، على سبيل المثال ، فإن ثمة «خدمة لفحص الخلفية» Background - checking service قد تتحقق من خلفيتك التعليمية وتاريخك الوظيفى . وقد تقوم هذه الخدمة أيضاً بالاطلاع على سجلاتك الائتمانية ، والمخالفات المتعلقة بقيادة سيارتك ، ودعاوى العمل ضدك للحصول على تعويضات ، وسجلك الإجرامى إن وجد ...!!

واليوم ، تستخدم التليفونات المحمولة ، ونظم

هذه المعلومات دون الحصول على موافقة هذا الفرد لغرض آخر تماماً . وقد يتم استقاء هذه المعلومات من مصادر عامة مثل سجلات تراخيص قيادة السيارات ، أو من مصادر تجارية من خلال التعامل ببطاقات الائتمان ، انظر شكل ٢ .

ولعل الاستثناء الوحيد ، في هذه السبيل ، هو قانون حماية خصوصية الفيديو Video Privacy Protection Act الصادر في الولايات المتحدة عام ١٩٨٨ ، حيث يحظر هذا القانون على تجار التجزئة إنشاء تأجير أفلام الفيديو للأشخاص ، دون موافقة العميل أو صدور أمر من المحكمة بذلك .

وللأسف ، فإن بعض الشركات التي تحتفظ بالبيانات الشخصية قد اتخذوا قراراً ضمناً وتعسفياً بأن كل فرد يعتبر ضمن قوائمهم بصورة آلية إذا لم يطلب بأن يتم استبعاد اسمه من هذه القوائم . وهنا يثور السؤال لماذا لا يوجد قانون يجعل المستهلكين بمنأى عن كل القوائم إذا لم يطلبوا أن تتضمن هذه القوائم أسماءهم ؟ ، وقد تبني الكونجرس الأمريكي هذا المدخل ، إلا أن جماعات الضغط التي تعمل لصالح شركات التسويق المباشر - Direct marketing companies اعترضت على ذلك ، لأن هذا المدخل قد يجعل هذه الشركات تتوقف عن العمل .

الاتصالات Communications

إن عدداً من الناس كانوا غير محظوظين باستخدام التليفونات المحمولة ، فموقع نجم كرة القدم الأمريكية «أوجي سمسون» O. J. Simpson ، المتهم بقتل زوجته السابقة وصديقها ، تم تعرفه من خلال البوليس عبر الإشارات

Consumer إننا أحياناً ما نفشى أسراراً عن أنفسنا ، لتقوم بعد ذلك شبكة الاستخبارات التسويقية Marketers; intelligence بجمع هذه الأسرار بصورة آلية . ويطرح لارسون عدداً من الاقتراحات لكي يتجنب الفرد وضع اسمه في قوائم برید شركات التسويق ، ومن بين هذه الاقتراحات :

١ - لا تعط رقم تليفونك لأية جهة ، ويجب أن تتردد عندما يطلب منك تدوين رقم تليفونك على شيك ، لأن هذا الأمر ليس من شأن البنك الذي يتعامل معه .

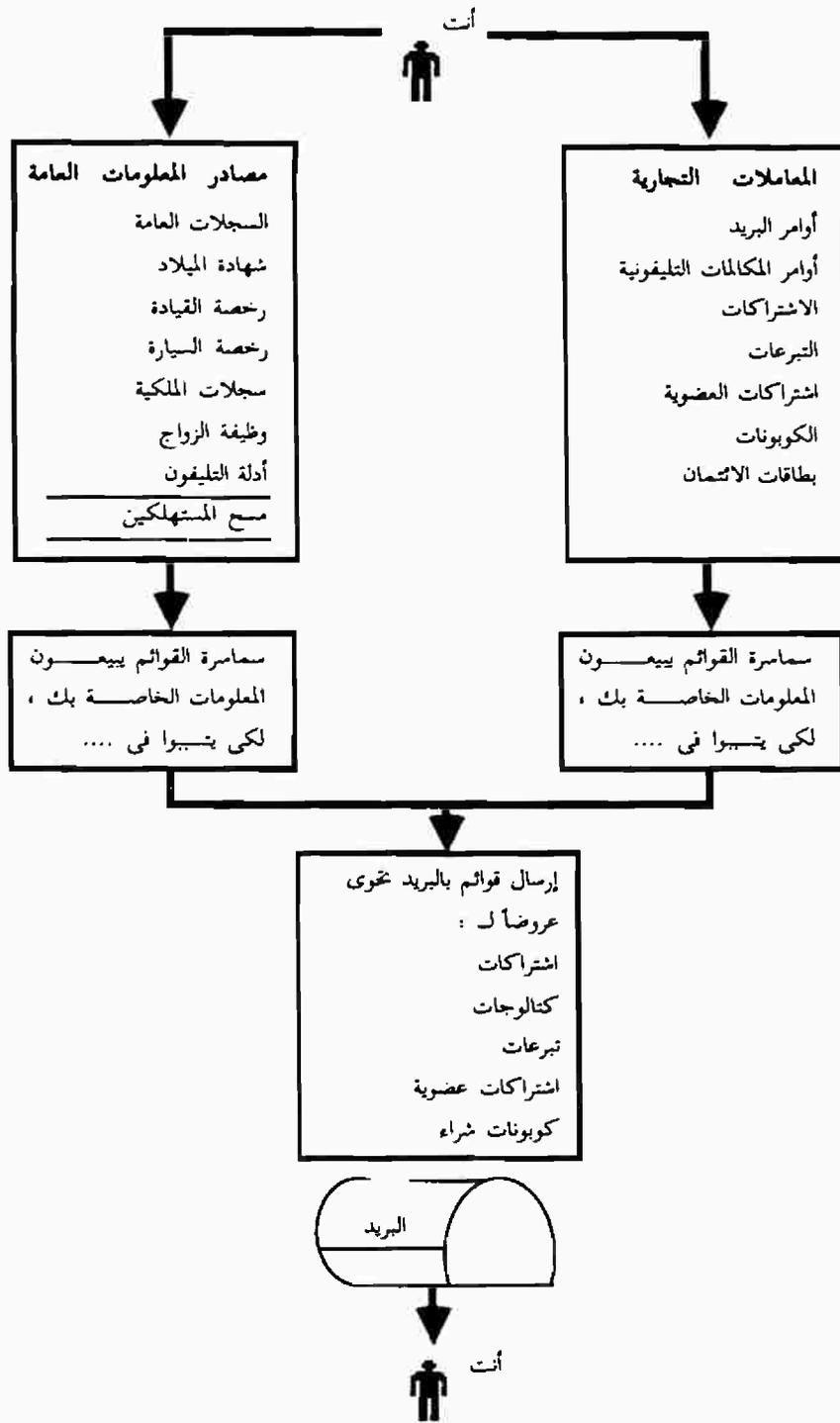
٢ - لا تعط رقم التأمين الاجتماعي لأى فرد ، إذا لم يكن ذلك مطلوباً بمقتضى القانون الفيدرالى .

٣ - تعلم أن تقول (لا) لمندوبى شركات التسويق ، وتعلم أن تكون وقحاً معهم لأنهم يستغلون أنك مهذب ، ليعبروا إليك من خلال هذا المدخل لأننا تعلمنا أن نحدث الناس بلطف فى التليفون ، ولا مانع من إنهاء المكالمة فى الحال إذا لم تكن تريد الشراء .

٤ - لا تملأ بعض الاستقصاءات التي تجربها شركات التسويق عن أسلوب حياة المستهلكين ، لأن هذه البيانات قد يتم استغلالها ضدك فيما بعد .

٥ - لا تعط أبداً رقم بطاقة الائتمان لأى مندوب شركة تسويق عبر التليفون ، بل اطلب من مثل هؤلاء الأشخاص أن يرسلوا لك قائمة بأسعار المنتجات .

وباستثناءات قليلة ، فإن القانون لا يمنع الشركات من جمع معلومات عن الفرد لغرض ما ،



شكل (٢) : البريد النافه وكيف يوضع اسمك في قوائم هذا النوع من البريد ، حيث يتم جمع البيانات الشخصية من مصادر عامة أو تجارية ، ليقوم جامعو البيانات والسماسرة ببيع اسمك لعدد من الشركات التسويقية وخدمات البريد المباشر المختلفة .

برسم العالم بأكمله معاً ليصبح نوعاً ما من المدينة الصغيرة التي يتم ربطها إلكترونياً Electronically mediated small town .

وبهذا ، أصبح من السهل في عصر الاتصال الإلكتروني خلق «مجتمعات سيكولوجية» Psychological comunicaties ، تقوم بتوسيع نطاق علاقاتنا عبر الوقت والمسافة ، حتى يتم في النهاية خلق «مجتمعات افتراضية» Virtual Communities التي تتكون من الناس الذين نعرفهم فقط من خلال شبكات الاتصال ، ولعل هذا الاتجاه هو ما يقودنا إلى مجتمع ما بعد الحداثة Postmodern society^(١٦) .

وفي مجتمع ما بعد الحداثة تذوب الدول لتصبح كيانات هلامية ، حيث يصبح الناس أقل اهتماماً ومشاركة في الأحداث التي تدور في العالم المحيط بهم ، كما قد يحدث العكس أيضاً ، لأن تكنولوجيا المعلومات قد تكشف علاقات الناس في مجتمعاتهم المحلية ، وذلك من خلال فتح قنوات اتصال ، والدفع بأماليب جديدة لتنسيق الأنشطة المختلفة وتدعيم العلاقات .

ومن المؤكد أن نعمة شيئاً مفقوداً عندما نستخدم الاتصال عبر وسائط إلكترونية ، ومن أمثلة هذه الأشياء المفقودة التلميحات غير اللفظية ، كتمبيرات الوجه وحركات الجسد والإيماءات ، والتي تساعدنا في فهم المعاني الأكثر عمقاً للكلمات ، وهذا هو مفهوم الحضور الاجتماعي Social Presence ، الذي يختلف عن الحضور النسبي الذي يعنى غياب التلميحات المحسوسة ، التي تساعد في نقل المعاني المستترة^(١٧) .

اللاسلكية لجهاز تليفونه المحمول . وفي الواقع ، فإن أي فرد يستخدم جهاز استقبال موجات تقع في نطاق يتراوح بين ٨٠٠ ، ٩٠٠ ميغاهيرتز يمكنه التنصت على محادثات التليفون المحمول .

ويقر قانون خصوصية الاتصالات الإلكترونية Electronic Communications Privacy Act الصادر في الولايات المتحدة عام ١٩٨٦ ، بأن احتلاس السمع على المحادثات الخاصة غير قانوني دون وجود أمر محكمة . وعلى أية حال ، فإن السلطات المسئولة لا يوجد لديها نمة وسيلة للقبض على الأفراد ، الذين يستخدمون أجهزة التنصت Scanner Recievers .

ولكن رغم أنه من غير القانوني التنصت على المحادثات التليفونية ، فإن قانون خصوصية الاتصالات الإلكترونية لا يطبق على البريد الإلكتروني الداخلي لأية شركة ، حيث أن للشركة الحق في الاطلاع على الرسائل الخاصة الموجودة على شبكة الكمبيوتر التابعة لها . وكسياسة عامة ، فإنه من باب الحكمة أن يفترض المواطن الأمريكي أنه لا توجد أية خصوصية داخل الشركة التي يعمل بها .

رابعاً: بناء العلاقات الشخصية

The Structure of Personal Relationships

سك مارشال ماكلوهان عالم الاتصالات الكندي مصطلح «القرية العالمية» The Global Village عام ١٩٦٤^(١٥) ، لوصف التغيرات في التكنولوجيا الاتصالات ، والتي بدت له أنها تقوم

الشمولية قامت بتعظيم مفهوم الأسرة التقليدية ، لأن هذا يساعدها على إحكام قبضتها على المجتمع المدني .

وعلى النقيض من ذلك ، فإن الأسر المفتتة Broken families والشقق التي يقطنها فرد واحد تعد نتاجاً لمجتمع يزخر بعديد من الخيارات . ففي المنزل الحديث الذي تقطنه أسرة ذات نواة واحدة nuclear family (أبوان وأطفال) ، نجد أن كل فرد في الأسرة أصبحت له وسائله المنفصلة للوصول إلى مصادره الاتصالية الخاصة .

وبحلول عام ١٩٩٣ ، كان ٣٧ ٪ من الأطفال الأمريكيين الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ - ١١ عاماً لديهم أجهزة التلفزيون الخاصة بهم ، ووصلت هذه النسبة إلى ٤٩ ٪ بالنسبة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ - ١٣ عاماً ، في حين بلغت هذه النسبة ٥٤ ٪ بالنسبة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ - ١٥ عاماً^(١٩) .

إن أجهزة الراديو صنعت بحيث يكون صوتها عالياً ، ولذلك بدأت سماعات الأذن تقفز إلى رؤوس الشباب لضمان عدم سماع أفراد العائلة الآخرين لما يسمعه هؤلاء الشباب . كما أصبح أفراد العائلة يدسون أنوفهم بعمق في مجلاتهم وكتبهم ، وصارت وسائل الإعلام الوسائل المقبولة اجتماعياً للهروب من أفراد الأسرة الآخرين بدرجة أكبر من سماعات الأذن^(٢٠) .

لقد أصبحت الأسرة الأمريكية لا تتناول وجبة المساء من خلال الحديث عن أفكار معينة ، ولكن تناول الوجبة أمام التلفزيون يعد الآن أفضل بالنسبة لثلاثي العائلات الأمريكية، لدرجة أن محلات السوبر

ومن هنا ، فإن المؤتمرات التي تُعقد بواسطة الكمبيوتر Computer - mediated conference تتمتع بمستوى منخفض للحضور الاجتماعي ، وليست المكالمات التليفونية بأفضل في هذه السبيل، ورغم ذلك فإنها مفيدة لدعم العلاقات بين الأفراد لأنها أنشئت لنقل المعلومات . ويقول معظم الأفراد إنهم يفضلون الاتصال المباشر وجهاً لوجه ، عندما يكون لديهم شيئاً مهما يريدون قوله ، ولكنهم يفضلون التليفون عندما يبحثون عن معلومات . ويدخر الكثيرون الأخبار السيئة للاتصال الشخصي المباشر ، وذلك على العكس من الأخبار الطيبة^(١٨) .

ولعل هذا ما يتوافق مع نتائج الدراسات السابقة والتي توضح أن وسائل الإعلام ذات الحضور الاجتماعي المنخفض تعد كافية للبحث عن المعلومات وحل المشكلات ، ولكنها أقل فعالية عند حسم الصراعات أو تكوين انطباعات عن المعارف الجديدة .

خامساً: الاسر المفتتة عن طريق الاتصال

Separated by Communication

إن وسائل الإعلام المجزأة Chopped - up media لا بد وأن تعكس نمط الأسرة التي تقطعت الروابط بين أفرادها . إن الأسر المتكاملة التي كان أفرادها يعيشون تحت سقف واحد كانت تمثل معياراً ، في وقت ما ، عندما كانت الخيارات المتعلقة بوسائل الاتصال محدودة واليوم ، فإننا حيث نرى خيارات وسائل الاتصال تتسم بالمحدودية، كما هو الحال في الأنظمة الشمولية - فإننا نجد عديداً من الأسر المتكاملة التي تعيش تحت سقف واحد . وليس من قبيل الصدفة أن المجتمعات

2 - R. Koninski : "Computer use in the United States", Current Population Reports, Series P. 23, No. 155, (Washington : Government Printing Office, 1988).

3 - See :

- M. J. Davidson and C. L. Cooper : Women and Information Technology, (New York : Wiley, 1987).

- J. Zimmerman : "Some effects of the new technology on women", in M. D. Ermann, M. B. Williams and C. Gutierrez; Computer, Ethics and Society, (New York : Oxford University Press, 1990).

4 - Joseph Straubhaar and Robert LaRose : Communications Media in the Information Society, (New York : Wardsworth Publishing Company, 1997), pp. 437, 439.

5 - D. Hayes : Beyond the Silicon Curtain, (Boston : South End Press, 1989).

6 - Ibid.

7 - J. Salvaggio and J. Bryant : Media Use in the Information Age, (New

ماركت تتعاون في هذه السبيل بتخصيص قسم لتناول الوجبات أطلقته عليه "TV dinners"^(٢١).

وهكذا ، فإنه من خلال وسائل الإعلام ، تحولت بعض المجتمعات في الدول المتقدمة من الرابطة القائمة على أساس الدم والزواج والهجيرة إلى شبكات من الجماعات ذات المصالح interest groups ، والتي يمكن ألا يكون لأفرادها وجه أو صوت معروف . وفي بعض الأحيان ، تكون هذه الجماعات مجرد أفراد نتحدث معهم في التلفون ، أو نرسل لهم بريداً إلكترونياً ، أو نبعث لهم بعض الملاحظات بالفاكس ، أو نحاول إيجاد أية وسيلة أخرى ملائمة لتبادل الرسائل معهم دون أن نلقى ، ولو بنظرة واحدة ، على وجوههم .

إن المستقبل يحمل معه المزيد من الخيارات والبدائل . ولا بد أن ندرك أننا نعيش في خضم تحول أساسي وجوهري في كيفية حصول الأفراد على المعلومات والترفيه ، وفيما يختارون الحصول عليه . ويجب ألا يعتقد البعض في مصر أننا بعيدون عن ذلك ، لأننا في الوطن العربي كما في الصين والسعودية وإيران والكويت والمكسيك نقطن حارات أو أزقة في القرية العالمية ، التي تربطها جيداً وسائل الاتصال .

الهوامش

1 - A. Belinfante : "Telephone penetration and household and family characteristics", (Washington : Federal Communication Commission, May 1989) .

- Paul Kennedy : Preparing for the Twenty-First Century, (Toronto : Harper Collins Publishers Ltd., 1993), p. 333.
- 11- Brian Williams and Others Using Information Technology, Op. cit., p. 614.
- 12- Ibid, p. 614.
- 13- Ibid, p. 614.
- 14- See :
- Joseph Straubhaar and Robert La Rose : Communication Media in the Information Society, Op. cit., pp. 440-442.
- Brian Williams and Others : Using Information Technology, Op. cit., pp. 614-618.
- C. Johnson : "Police tools of the 90s are highly advanced but privacy laws lag", The Wall Street Journal, Nov. 11, 1990.
- Erik Larson, Cited in Martin J. Smith; "Tactics for Evading Nosey Marketers", San Francisco Examiner, Nov. 21, 1993, in Brian Williams and Others, Op. cit., p. 618.
- Jersey : Erlbaum, 1989).
- 8 - Brian K. Williams and Others : Using Information Technology, A practical Introduction to Computer & Communications, (Chicago : Richard Irwin Inc., 1995), p. 611.
- 9 - Ibid, p. 611.
- ١٠- انظر بالتفصيل :
- حمدى حسن : «الإعلام العربى ، الفرص والتحديات فى النظام الإعلامى الجديد» (القاهرة : جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، المؤتمر العلمى الأول «الإعلام العربى وتحديات العولمة» ، ١١ أبريل ١٩٩٩ .
- Brian Williams and Others : Using Information Technology, Op. cit., pp. 611-613.
- Irving Fang : A History of Mass Communication, Six Information Revolutions, (Boston : Focal Press, 1997), pp. 217, 218, 222.
- Everett M. Rogers : Communication Technology : The New Media in Society, (New York : The Free Press, 1986), p. 42.
- Tosca Moon Lee : "Smiling Online", PC Novice, Dec. 1993.

18- Henry Dodrick and Robert La Rose :
The Telephone in Daily Life, A Study
of Personal Telephone Use, (Miami :
Department of Telecommunication,
1992), in Straubhaar and La Rose,
Ibid., p. 440.

19- TV Guide, 10 April 1993.

20- Irving Fang : A History of Mass
Communication, Op. cit., p. 192.

21- Ibid., p. 192.

15- Marshall McLuhan : Understanding
Media, (New York : McGraw Hill,
1964).

16- J. Lyotard : The Postmodern
Condition, (Manchester : Manchester
University Press, 1984).

17- Joseph Straubhaar and Robert La
Rose : Communication Media in
Information Society, Op. cit., p.
440.

